الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس : المناهج النقدية النسقية
ليسانس ماستر 1
تخصص: نقد حديث ومعاصر
إعداد : أ.د محمد مليـاني
العام الجامعي 2026/2025

رؤية العالم والبحث عن النظرية

تُعدّ إشكالية «رؤية العالم» من القضايا المركزية التي شغلت الفكر الفلسفي والنقدي المعاصر، خاصة في مجالات علم اجتماع الأدب، والهرمنيوطيقا، والبنيوية التكوينية. فليست النظرية وليدة فراغ معرفي، بل تنشأ دائماً من تصوّر مسبق للعالم، ومن إحساس جماعي بالتاريخ والوجود والواقع الاجتماعي. ومن هنا تتأسس العلاقة الجدلية بين «رؤية العالم» بوصفها وعياً ضمنياً بالحياة، و«البحث عن النظرية» باعتباره سعياً إلى تنظيم هذا الوعي داخل نسق معرفي متماسك.

لقد حاول عدد من المفكرين، من أمثال لوسيان غولدمان وفيلهلم ديلتاي وميكائيل كيرني، الكشف عن طبيعة هذه العلاقة، وكيف تتحول الرؤى الذهنية والثقافية إلى نظريات تفسر الإنسان والتاريخ والمجتمع. وقد تجلّى هذا التحول بصورة واضحة في النقد الأدبي الحديث، خصوصاً داخل البنيوية التكوينية التي ربطت بين بنية النص الأدبي والبنيات الاجتماعية المنتجة له.

أولاً: مفهوم رؤية العالم

تشير «رؤية العالم» إلى نسق فكري ووجداني متكامل تعبّر من خلاله جماعة بشرية عن تصورها للكون والحياة والعلاقات الإنسانية. وهي لا تمثل مجرد رأي فردي أو موقف ذاتي، بل تعكس وعياً جماعياً يرتبط بشروط تاريخية واجتماعية محددة.

وتقوم رؤية العالم على مجموعة من العناصر الأساسية:

- **الطابع الجماعي :** إذ تعبّر عن طبقة اجتماعية أو جماعة ثقافية أكثر مما تعبّر عن فرد معزول .

- **التجانس الداخلي :**فهي نسق من القيم والأفكار والمشاعر التي تمنح الجماعة وحدةً فكريةً وروحية .
- **البعد التاريخي :**تتغير الرؤية بتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .
- **البعد الوجداني والمعياري :**فهي لا تكتفي بوصف الواقع، بل تتضمن تصوراً لما ينبغي أن يكون .

ويرى لوسيان غولدمان أن رؤية العالم تمثل «الوعي الممكن» للجماعة، أي أقصى درجات الانسجام الفكري التي تستطيع بلوغها في ظرف تاريخي معين. ولذلك فإن الأعمال الأدبية الكبرى ليست مجرد تعبيرات فردية، بل تجليات رمزية لهذا الوعي الجماعي.

ثانياً: البحث عن النظرية وتحويل الرؤية إلى نسق معرفي

إذا كانت رؤية العالم تمثل الإدراك العفوي للواقع، فإن النظرية تمثل المرحلة التي يتم فيها عقلنة هذا الإدراك وتحويله إلى بناء مفهومي منظم.

وتتحدد وظيفة النظرية في:

- تفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية .
- بناء مفاهيم وأدوات للتحليل .
- تنظيم التجربة الإنسانية داخل نسق منطقي .
- الانتقال من الحدس والانطباع إلى الفهم المنهجي .

إن البحث عن النظرية هو في جوهره انتقال من الوعي الضمني إلى الوعي المنظم، ومن التجربة الحياتية إلى التجريد الفكري.

وقد أكد فيلهلم ديلتاي أن العلوم الإنسانية تختلف عن العلوم الطبيعية؛ لأنها لا تقوم على التفسير الآلي، بل على «الفهم» القائم على التجربة التاريخية والمعيشة الإنسانية. لذلك فإن النظرية في العلوم الإنسانية تنطلق من الحياة ذاتها، لا من القوانين المجردة وحدها.

ويحدد ديلتاي ثلاثة عناصر أساسية تتكون منها رؤية العالم:

1. صورة معرفية للعالم .
2. نماذج للحياة مرتبطة بالإرادة والعمل .
3. خبرة وجدانية قائمة على الشعور والقيم .

ومن تفاعل هذه العناصر تنشأ النظرية بوصفها تأويلاً شاملاً للوجود الإنساني.

ثالثاً: العلاقة الجدلية بين رؤية العالم والنظرية

تقوم العلاقة بين رؤية العالم والنظرية على التفاعل المتبادل؛ فلا توجد نظرية بلا رؤية مسبقة، كما أن رؤية العالم تظل مشتتة ما لم تؤطرها نظرية واضحة.

وجه المقارنة	رؤية العالم	النظرية
الطبيعة	وجدانية واجتماعية	عقلية وتجريدية
الوظيفة	تفسير الواقع المعيش	بناء تفسير منهجي
التمثيل	الأساطير والفنون والقيم	المناهج والمفاهيم
المرجعية	التجربة الجماعية	البناء المعرفي
الهدف	خلق الإحساس بالهوية	إنتاج المعرفة المنظمة

ومن هنا فإن النظرية ليست انعكاساً ميكانيكياً للواقع، بل هي إعادة بناء فكرية له. إنها الوسيط الذي يربط الذات بالعالم، والفكر بالتاريخ، والوعي الفردي بالبنية الاجتماعية.

رابعاً: رؤية العالم في البنيوية التكوينية

تُعد البنيوية التكوينية من أبرز المناهج التي ربطت بين رؤية العالم والبحث عن النظرية، خاصة في أعمال لوسيان غولدمان.

فقد انطلق غولدمان من فكرة أساسية مفادها أن النص الأدبي ليس بنية لغوية مغلقة، بل هو «بنية دالة» تعكس رؤية جماعية للعالم. ومن ثمّ فإن مهمة الناقد لا تتمثل في تحليل اللغة وحدها، بل في الكشف عن العلاقة بين:

- بنية النص الأدبي .
- والبنية الاجتماعية المنتجة له .

وهنا يظهر مفهوم **التناظر** الذي يعد من أهم مفاهيم البنيوية التكوينية، حيث يسعى الباحث إلى اكتشاف أوجه التشابه بين التكوين الداخلي للعمل الأدبي والتكوين الفكري والاجتماعي للجماعة التي أنتجته.

كما رفض غولدمان فكرة «الأنا» الفردية الخالصة، مؤكداً أن الإبداع الحقيقي يصدر عن «ذات جماعية» تتجسد في الكاتب بوصفه ممثلاً رمزياً لجماعته التاريخية.

خامساً: الأبعاد الأنثروبولوجية لرؤية العالم

أسهمت الدراسات الأنثروبولوجية في توسيع مفهوم رؤية العالم، خاصة مع أعمال روبرت ردفيلد وميكائيل كيرني.

وقد حدد هؤلاء مجموعة من العناصر البنيوية المشتركة في كل رؤية للعالم، أهمها:

- الذات .(Self)
- الآخر .(Other)
- الزمان والمكان .
- الطبيعة والغيب .
- العلاقات الوظيفية بين مجالات الحياة المختلفة .

ويرى كيرني أن النظرية الحقيقية ينبغي أن تنطلق من الواقع المعيش، وأن تكون قابلة للتطبيق والتحقق، لا مجرد تأملات مجردة منفصلة عن التجربة الإنسانية.

كما يؤكد الباحث الأنثروبولوجي أحمد أبو زيد أن مهمة الباحث تتمثل في الكشف عن «المبادئ الذهنية» التي تمنح الثقافة معناها، وذلك عبر التمييز بين:

- رؤية المجتمع لنفسه .
- وتحليل الباحث الخارجي لهذا المجتمع .

سادساً: التحديات المعاصرة لنظرية رؤية العالم

مع ظهور تيارات ما بعد الحداثة، تعرض مفهوم «رؤية العالم الشمولية» إلى نقد واسع، إذ جرى التشكيك في إمكانية وجود تفسير كلي للحقيقة أو المجتمع.

ومن أبرز التحولات التي عرفتها هذه المرحلة:

- **التشظي :**استبدال السرديات الكبرى برؤى جزئية ومحلية .
- **التعددية :**الاعتراف بتعدد المرجعيات الثقافية والمعرفية .
- **نقد المركزية :**رفض هيمنة نموذج فكري واحد .

- **تفكيك الهوية الثابتة :**النظر إلى الذات بوصفها بنية متحركة ومتغيرة .

وبذلك لم تعد النظرية تسعى إلى إنتاج حقيقة مطلقة، بل إلى تقديم قراءات متعددة ومتقاطعة للواقع.

إن العلاقة بين «رؤية العالم» و«البحث عن النظرية» تمثل إحدى أكثر العلاقات تعقيداً في الفكر الإنساني؛ لأن النظرية ليست سوى محاولة عقلانية لتنظيم رؤية الإنسان للعالم ومنحها طابعاً معرفياً ومنهجياً. ومن خلال هذه العلاقة ينتقل الفكر من التجربة العفوية إلى البناء المفهومي، ومن الإدراك الفردي إلى الوعي الجماعي.

وقد كشفت البنيوية التكوينية، خاصة مع لوسيان غولدمان، أن العمل الأدبي ليس مجرد بنية جمالية، بل هو تجسيد لرؤية جماعية للعالم، وأن البحث عن النظرية في النقد الأدبي هو بحث عن الأنساق الفكرية والاجتماعية الكامنة داخل النصوص.

ومن هنا تظل دراسة «رؤية العالم» مدخلاً أساسياً لفهم الأدب والثقافة والتاريخ، لأنها تكشف الكيفية التي يحول بها الإنسان تجربته الوجودية إلى معرفة، ثم يحول هذه المعرفة إلى نظرية تفسر العالم وتعيد تشكيله.